أثر العبادات في حياة المسلم

محاضرة ألقاها عبر الهاتف

عبد المحسن بن حمد العباد البدر

في جمعية إسلامية في أمريكا

الحمـــد للـــه نحمـــده ونســـتعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسـنا ومن سـيِّئات أعمالنـا، مَـن يهـده اللـه فلا مُضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلــه إلا اللــه وحــده لا شــريك لــه، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله، أرسـله بالهدى ودين الحـقِّ لِيُظهـره علـى الـدِّين كلِّه، فبلَّـغ الرسـالةَ وأدَّى الأمانـةَ، ونصـحَ الأمَّـةَ، اللَّهـم صـل وسـلم وبـارك عليـه، وعلى آلـه وأصـحابه، ومَـن سـلك سـبيلَه واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين.

أما بعد: فالسـلام عليكـم أيهـا الإخـوة

المسلمون المستمعون في أمريكا ورحمة الله وبركاته، وأسأل الله عز وجل لي ولكم العونَ والتسديدَ، وأن يوفِّقنا جميعاً لِمَا يُرضيه.

وحديثي معكم في الموضوع الذي رغبتم الحديثَ فيه؛ وهو أثرُ العبادات في حياة المسلم، فأقول: العبادةُ اسمٌ جامع لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهذا هو أحسن ما قيل في تعريف العبادة، وللعبادة أهميةٌ عُظمى؛ وذلك أنَّ الله عز وجل خلق الخَلقَ وأرسل الرسلَ وأنزل الكتبَ للأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره، فقال سبحانه وتعالى: [illegible]، [illegible]

أي: خلقهم الله لأمرهم بعبادته ونهيهم عن معصيته، وقال سبحانه وتعالى: ﴿[illegible]﴾، وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾.

والعبادة أنواعٌ كثيرة؛ منها الخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والإنابة والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة.

ومن العبادات؛ أركان الإسلام وهي التي اشتمل عليها حديث جبريل المشهور، حيث سأل النَبِيَّ ﷺ عن الإسلام فقال: ((أن تشهدَ أن لا إله إلا

اللـه، وأنّ محمـداً رسـول اللـه، وتقيـم الصلاة، وتؤتي الزكـاة، وتصـوم رمضـان، وتحـج الـبيت إن اسـتطعت إليـه سـبيلاً » أخرجـه مسـلم فـي صـحيحه مـن حـديث عمر ﷺ، وهو أوَّلُ حديث عنده في كتاب الإيمان (8).

وجاءت في حديث عبـد اللـه بـن عمـر رضي الله عنهما حيث قـال عليـه الصـلاة والسـلام: « بُنِـيَ الإسـلامُ علـى خمـس؛ شــهادة أن لا إلــه إلا اللــه وأنَّ محمــداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتـاء الزكـاة، وحـجّ الـبيت، وصـوم رمضـان » وهـو أوَّلُ حديث عند البخـاري فـي كتـاب الإيمـان (8)، وهو في صحيح مسلم (19).

ثـمَّ إنّ العبـادة لا بـدَّ فـي قبولهـا مـن

شـرطين؛ أحـدهما: إخلاص العمـل للـه، والثاني: تجريد المتابعة لرسول اللـه ﷺ، فلا بدَّ من تجريـد الإخلاص للـه وحـده، فلا يُشرَكُ مع الله غيره، ولا يُصرفُ من أنواع العبادة شيء لغير الله سبحانه وتعـالى، و لا بد من تجريد المتابعة للرسـول ﷺ، فلا يُعبد اللـه إلاَّ وفقـاً لمـا جـاء بـه الرسـول الكريـم صـلوات اللـه وسـلامه وبركـاته عليه، وهذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أنَّ محمداً رسـول اللـه؛ لأن مقتضـى أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه إخلاص العمل لله وحـده، فلا يُصـرف شـيء مـن أنواع العبادة لغيـره، بـل تكـون العبـادات كلُّهـا خالصـةً لـوجهه سـبحانه وتعـالى، ومقتضى أشهد أن محمداً رسول الله أن

تكون العبادةُ وفقاً لِمَا جاء عـن الرسـول الكريـــم ﷺ، فلا يُعبـــد اللـــه بالبـــدع والمحدثات والمنكرات التي ما أنزل اللـه تعالى بها من سلطان، بـل تكـون العبـادة وفقاً للسنة، ولما جاء به الرسول الكريـم ﷺ.

والحاصلُ أنَّ مقتضـى أشـهد أن لا إلـه إلا الله إخلاص العمل لله، ومقتضى أشهد أنَّ محمـداً رسـول اللـه تجريـد المتابعـة لرسول الله ﷺ، فلا بدَّ في أيِّ عمـلٍ مـن الأعمال أن يكـون للـه خالصـاً وأن يكـون لسـنة نـبيه محمـدٍ ﷺ موافقـاً ومطابقـاً، فإذا اختلَّ أحَدُ هذين الشـرطين بـأن فُقـد الإخلاصُ، أو فُقدت المتابعةُ، أو فُقِدَا معـاً فإنَّ العملَ مردودٌ على صـاحبه، ولا يقبـل

عند الله عز وجل، قال تعالى في بيان ردّ العمل بسبب عدم الإخلاص: ﴿ [illegible] [illegible] ﴾، وقال الرسول الكريم ﷺ في بيان ردِّ العمل إذا كان مبنياً على بدعة: ((مَن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)) رواه البخاري (2697)، ومسلم (1718) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي لفظ لمسلم: ((مَن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)).

وقال عليه الصلاة والسلام: ((فإنَّه مَن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين تَمسَّكوا بها وعضوا عليها

بالنواجذ، وإيّـاكم ومحـدثات الأمـور، فـإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة » رواه أبو داود (4607)، والترمذي (2676) من حـديث العربـاض ابـن سـارية، وقـال الترمذي: « حديث حسن صحيح ».

وقـد بَيّـن عليـه الصـلاة والسـلام فـي حديث الثلاث وسبعين فرقة الذين يَـدخل منهم النار اثنتان وسبعون فرقـة، وفرقـة واحدة تنجو، بَيَّن عليه الصلاة والسلام أن هذه الفرقة الناجية هم الذين كـانوا علـى مـا كـان عليـه رسـول اللـه ﷺ وأصـحابُه الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وقال الإمام مالك بن أنس رحمة اللـه عليه: « لن يصلح آخـر هـذه الأمّـة إلاَّ بمـا صلح به أوّلها »، وقال رحمـه اللـه: « مَـن

ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسـنة فقـد زعم أنَّ محمـداً خـان الرسـالة؛ لأنَّ اللـه يقـــــــــــــــول: ﴿ [illegible] ﴾ فما لَم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليـوم دينـاً ». الاعتصام للشاطبي (1/28).

ولا يكفي أن يقول الإنسـانُ أنـا أعمـل بهذا العمل وإن لَم يأتِ عن النَّبِيِّ ﷺ؛ لأنَّ قصـدي طيـبٌ وقصـدي حسـنٌ، والـدليل على هذا أنَّ النَبِيَّ عليـه الصـلاة والسـلام لَمَّا بلغه أنَّ رجلاً من أصحابه الكرام ذبــح أُضـحيتَه قبـل صـلاة العيـد قـال لـه عليـه الصلاة والسلام: « شاتُك شاةُ لحــم » أي: ليست أضحية؛ لأنَّها لم تقع طبقـاً للسـنَّة، إذ إنَّ السـنَّةَ أن يبـدأ ذبـح الأضـاحي بعـد

صلاة العيد، أما الذبح قبل الصلاة فإنَّه يكون في غير وقته فلا يعتبر، والحديث أخرجه البخاري (5556)، ومسلم (1961)، وقال الحافظ في شرحه في الفتح (10/17): « قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: وفيه أنَّ العمل وإن وافق نيَّةً حسنة لم يصح إلاَّ إذا وقع على وفق الشرع ».

ومِمَّا يوضح ذلك أيضاً أنَّ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، صاحب الرسول الله ﷺ جاء إلى أُناس وقد تَحلَّقوا في المسجد، ومع كل واحد منهم عدد من الحصى، وفيهم رجل يقول سبِّحوا مائة، هلِّلوا مائة، كبِّروا مائة، فيعدون بالحصى حتى يأتوا بهذا الذِّكر، يعدونه بذلك

الحصى، فوقف على رؤوسهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: « ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليل والتسبيحَ، قال: فعُدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمّة محمد! ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لم تَبْلَ، وآنيتُه لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى مِلَّة هي أهدى من مِلَّة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة؟! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه »، هذا الأثر رواه الدارمي في سننه (1/68 – 69)، وأورده الألباني في

السلسلة الصحيحة (2005).

وأمّـا الآثـار المترتبـة علـى العبـادات فمنهـا؛ انشـراحُ الصـدر، وراحـةُ البـال، وسَعةُ الرزق، وسلامةُ الإنسـان وارتيـاحُه واطمئنانُه.

وقد جاء في القرآن آياتٌ كثيرة، وفـي السنة النبوية أحاديث عديـدة، تـدلّ علـى تلك الآثار، وعلى أنَّ تقوى اللـه عـز وجـل والأعمال الصـالحة يـترتب عليهـا سـعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

قال الله عز وجـل: [illegible]

فإنَّ هذه الآيةَ الكريمة اشتملت على ذِكر

العبادة، وعلى ذِكـر الأثـر المـترتب عليهـا في حياة المسلم، وهي أنَّ من اتقى اللــه عز وجل وآمن بـه فـإنَّ اللـه تعـالى يُـثيبُه ويعطيـه فـي الحيـاة الـدنيا مـن الـرزق، ويفتح عليـه مـن بركـات السـماء والأرض وذلــك بــإنزال الأمطــار، وإخــراج النبــات والكنوز من الأرض.

وقـال عـز وجـل فـي أهـل الكتـاب: [illegible] فإنَّ هذه الآية الكريمة، هي مثـــل تلـــك الآيـــة الســـابقة، [illegible] يعنـــــي مـن الأرزاق الـتي يُنْزِلُهـا اللـه عـز وجـل

إليهم من السماء بسبب المطـر، وكـذلك مِن تحت أرجلهم مِمَّا ينبته الله عـز وجـل في الأرض من النبـات والـزروع، وكـذلك مِمَّا يخرجه الله عز وجل من الكنوز، ومـا ذكـره اللـه فـي هـاتين الآيـتين عـن أهـل القـرى، وأهـل الكتـاب، هـو مـن الثـواب الـدنيوي علـى الإيمـان والتقـوى، وأمّـا الثواب الأخروي للمـؤمنين المتقيـن فقـد ذكره الله تعـالى فـي قـوله: [illegible].

وقال عـز وجـل: [illegible] وهـذه عبـادة، ثـم ذكـر الأثـر

المترتب على ذلك بقوله: [illegible]، فإنَّ إصلاحَ الأعمال، ومغفرةَ الذنوب في الآخرة، من الآثار المترتبة على العبادة، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة، على ذكر آثار تترتب على العبادة في الدنيا وفي الآخرة، ففي الدنيا إصلاح الأعمال والتوفيق والسداد، وأن يكون الإنسان يسير إلى الله عز وجل على بصيرة، وفي الآخرة مغفرة الذنوب، وتكفير السيِّئات.

وقال الله عز وجل: [illegible] فهذه الآية الكريمة

فيها أنَّ تقوى الله عز وجـل وهـي عبـادتُه وطاعته بامتثال أوامـره واجتنـاب نـواهيه يترتب عليهـا الإخـراج مـن المـآزق ومـن الشدائد، وكذلك يرزق الله عز وجـل مَـن أطاعه واتقاه من حيث لا يحتسب.

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ فإنَّ من الآثار المترتبـة علـى تقـوى اللـه عـز وجـل أن ييسِّر له الأمور، وأن يهيِّئ له سبل الخيـر، وأن يفتح الطرقَ التي توصله إلى سـعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

وقـال عــز وجــل: ﴿ [illegible] ﴾ وهـذا مــن الثــواب الأخــروي المترتب على تقوى الله سبحانه وتعالى.

وقال عـز وجـل: ﴿ [illegible]

[illegible]
[illegible] فهذه الآية الكريمة تدل على أنَّ مَن اتقى الله عز وجل، وعمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ يجعل له فرقاناً يفــرق به بين الحق والباطل، ويسير إلى الله عز وجل على بصيرة وعلـى هـدى وهـذا فـي الــدنيا، وأمّــا فــي الآخــرة فيــثيبه بتكفيــر السيِّئات ومغفرة الذنوب، ومثل قول الله عـــز وجـــل فـــي صـــدر هـــذه الآيـــة [illegible] قـول اللــه تعـالى فـي آخـر آيـة الـدَّين: [illegible].

وقــال تعــالى فيمــا حكــاه عــن نــوح

وقـومه: [illegible]

[illegible] فإنَّ هذه الأمور من الآثار المترتبة على العبـادة، فالعبـادة هنا هي الاستغفار والآثـار المترتبـة عليهـا فـي هـذه الآيـة هـي أنـه يرسـل السـماء عليهم مدراراً، ويُمددهم بالأموال والبنين، ويجعل لهم جنات ويجعل لهم أنهاراً.

ومثل هذه الآية ما ذكره الله عـن هـود وقـــومه فـــي قـــوله: [illegible].

ومثلها أيضاً ما ذكره الله عن نبينا محمد ﷺ وقومه في قوله: [illegible].

وقال تعالى: [illegible] ففي هذه الآية الكريمة أنَّ الإيمان والعمل الصالح يترتب عليهما أن يحي الإنسان حياة طيبة سعيدة، معمورة بتقوى الله وطاعته وطاعة رسوله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، مع ما يحصله من الثواب

الجزيل في الآخرة.

ومِمَّا جاء في السنة المطهرة في بيان ما يترتب على العبادات من الآثار الطيبة في حياة المسلم ما جاء في وصية النَبِيِّ الكريم ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال عليه الصلاة والسلام في تلك الوصية العظيمة النفيسة: « احفَظ الله يحفظك، احفظ الله تَجده تجاهك ... » رواه الترمذي (2516) وقال: « حديث حسن صحيح ». وفي لفظ آخر عند الإمام أحمد (2803)ـ « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك تعرَّف إليه في الرَّخاء يعرفك في الشدة » وهذا الحديث هو الحديث التاسع عشر من الأربعين النووية وجاء في شرحها للحافظ

ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم معانٍ نفيسه في شرح هذا الحديث استفدت منه في بيان معاني هذه الجمل من الحديث، وحفظ الله عز وجل لعبده يدخل فيه نوعان: حفظه في بدنه وماله وأولاده وأهله، وكذلك حفظه في دينه بأن يَسلم من الشبهات المضلَّة ومن الشهوات المحرمة، فيكون بذلك على سداد وعلى استقامة في أمور دينه ودنياه، وهذا من حفظ الله عز وجل لِمَن حفظه، فالعبدُ يحفظ اللهَ عز وجل بحفظ حدوده والقيام بأوامره واجتناب نواهيه، واللهُ تعالى يثيبه على ذلك الحفظ حفظاً من جنس عمله، والجزاء من جنس العمل.

فإنَّ قوله: « يحفظك » هذا جزاء، وهو من الآثار المترتبة على العمل الصالح، وهو جزاء من جنس العمل، وقوله: « احفظ الله تجده تجاهك » أي: أنَّك تجد الله عز وجل أمامك فيحوطك ويرعاك، ويحفظك من كلِّ سوء، وقوله عليه الصلاة والسلام: « تعرَّف إليه في الرخاء يعرفْك في الشدَّة » أي: أنَّك إذا لزمت طاعةَ الله وطاعة رسوله ﷺ في حال رخائك، وفي حال سعتك، فإنَّ الله عز وجل يُثيبك بأن يحفظَك في الشدائد وفي حال وقوعك في المآزق.

ومِمَّا يوضح أنَّ مَن تَعرَّف إلى الله عز وجل في الرخاء عرَفَه الله تعالى في الشدَّة ما جاء في قصة الثلاثة الذين

آواهم المبيت إلى غار، فانحـدرت عليهـم صخرةٌ، وسدّت بابَ الغار فلم يسـتطيعوا أن يخرجوا، فصاروا فـي قـبرٍ وهـم أحيـاء فتـذاكروا فيمـا بينهـم، فـرأوا أنَّ السـببَ الذي يخلصهم الله عز وجـل بـه ممـا هـم فيـه مـن الشـدة، أن يبحثـوا عـن أعمـال صالحة عملوهـا للـه عـز وجـل فـي حـال الرخاء، فيتوسلوا بها إلـى اللـه عـز وجـل في هذه الشدَّةِ التي وقعوا فيها؛ فتوَسـَّل أحدُهم إلى الله عـز وجـل بِبِـرِّه لوالـديه، وتوسـَّلَ الثـاني بتَركـه الزنـى مـع قُـدرَتِه عليه، وتوسَّل الثـالثُ بحفـظ حـق أجيـره وتنميته له لَمَّا ذهب قبل أخذه، فكلٌّ واحد منهـم توسـَّل إلـى اللـه عـز وجـل بعمـل صالح عمله لله عز وجل في حال رخـائه،

فأزاح الله تعالى تلـك الصـخرة، وخرجـوا يمشون.

وقصة هؤلاء الثلاثة جاءت فـي صـحيح البخـــــــــــــــــــــــــــاري (2215)، ومسـلم (2743) مـن حـديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ثـم إنَّ مـن العبـادات الصـلاة والزكـاة والصيام والحج، وكلٌّ واحدة منها لهـا آثـار طيبة في حياة المسلم.

فالصلاةُ هي عمود الإسلام، وهي التي تنهى عن الفحشـاء والمنكـر، وهـي صـلةٌ وثيقةٌ بيـن العبـد وبيـن ربِّـه، فـإذا حـافظ الإنسـانُ علـى الصـلوات فـي المسـاجد جماعة مع المسـلمين فـإنَّه تقـوى صـلته بالله عز وجل، لأنَّه يكون على صلة بـالله

دائماً وأبداً في اليوم والليلـة، يصـلي للـه خمس مرات صلوات مفروضة، وكـذا مـا يأتي بـه مـن النوافـل فـإنَّ اللـه سـبحانه وتعالي يثيبه على ذلـك كلِّـه، فيبعـده عـن الفحشـاء والمنكـر؛ لأنَّـه إذا هـمَّ بمعصـية وهمَّ بأمر منكر، تذكَّر لماذا يصلي؟ ولماذا يلازم الصلاة؟ إنَّه يفعـل ذلـك رغبـة فيمـا عند الله من الثواب وخوفاً مما عنده مـن العقاب، فإنَّ صـلاته تنهـاه عـن الفحشـاء والمنكــر، فيكــون بعيــداً عــن الفحشــاء وبعيداً عن المنكر، قال اللـه عـز وجـل:

□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□

□ □ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□.

ثــم إنَّ الزكــاةَ آثارُهــا عظيمــة؛ فهــي تطَهِّر النفسَ من الشُّـح والبخـل، وتطهـر

المال، وتكـون سـبباً فـي نمـائه وكـثرته، ويحصل بها ما يسـمى فـي هـذا الزمـان (بالتكافـل الاجتمـاعي) وهـو أنَّ الأغنيـاء عندما يخرجون زكـاة أمـوالهم ويعطونهـا للفقــراء، فــإنَّ الفقــراء تنســد بــذلك حاجاتهم ويحصل لهم القوت بسـبب هـذا الحـق الـذي فرضـه اللـه عـز وجـل فـي أموال الأغنياء، وقد جاء في حـديث معـاذ بن جبل المتفـق علـى صـحته قـوله ﷺ: « فـإن هـم أجـابوا لـذلك ـ أي اسـتجابوا للصلاة ـ فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهـم صدقةً فـي أمـوالهم، تُؤخـذ من أغنيـائهم فتُرَدُّ على فقرائهم » ففي إخـراج الزكـاة نفعٌ كبير للأغنيـاء حيـث تتطَهَّـر نفوسُـهم، وتنمو أمـوالُهم، ويُثـابون علـى إحسـانهم

إلى إخوانِهم المسلمين، الذين حصل لهم الفقـر، وحصـلت لهـم الفاقـةُ والشِّـدَّةُ، فيحصل إغناؤهم بهذه الصدقة التي تَسـد حاجتهم، وتقضي عوزَهم، والله عز وجـل فرض الزكاةَ في أموال الأغنياء على وجه ينفع الفقيـر، ولا يضـر الغنـي، فهـي جـزءٌ يسيرٌ من مالٍ كثير تفضّل اللـه عـز وجـل بـه وجـاد، وأوجـب ذلـك القسـط القليـل الذي لا يؤثر على الغني إخراجه وهو ينفـع ذلك الفقيـر الـذي أعـدم ولـم يحصـل لـه شيء من المال.

ومـن الآثـار الحسـنة المترتبـة علـى الصدقة والإحسان إلى المساكين ما جـاء فـي صـحيح مسـلم (2984) مـن حـديث أبي هريرة ﷺ عن النَبِيِّ ﷺ قـال: « بينـا

رجلٌ بفلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقةَ فلان، فتنحّى ذلك السحاب فأفرغ ماءَه في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ من تلك الشِّرَاج قد استوعبت ذلك الماء كلَّه، فتتبّع الماءَ فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقة يحوّل الماء بِمِسْحَاتِه، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لِمَ تسألني؟ فقال: إنِّي سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذ قلت هذا، فإنِّي أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً، وأردّ فيها ثلثه ». وفي رواية له: « وأجعل ثلثَه في

المساكين والسائلين وابن السبيل ».

وأمّا الصيامُ فإنّ آثارَه عظيمـةٌ، ونتـائجَه كبيرةٌ، وذلك أنّ في الصيام جُنّةً، كما قال رسـول اللـه ﷺ: « الصـيامُ جُنَّـة » رواه البخاري (1894)، ومسلم (1151)، فهـو جُنّـةٌ مـن النـار، ووقايـةٌ منهـا فـي الـدار الآخرة، وهو جُنّةٌ من المعاصي؛ إذ إنَّ فيه إضعاف قوة الشهوة في النفـس، فيكبـح جِماحَها، ويحـول بينهـا وبيـن أن تقـع فـي المزالـق، وتقـع فـي الأمـور المحرمـة، بسـبب التمتـع بـالنعم والتلـذذ بهـا، فـإنَّ النفس قد تقـدم بسـبب ذلـك علـى مـا لا تحمد عقباه في الدنيا والآخرة، ولهذا قال النَبِـيُّ الكريـم عليـه الصـلاة والسـلام: « حُفَّـت الجنّـة بالمكـاره، وحُفَّـت النـار

بالشهوات » رواه البخاري (6487) ومسلم (2822)، واللفظ لمسلم، فالطريق إلى الجنّة يحتاج إلى صبر على طاعة الله عز وجل، ويحتاج إلى صبر عن المعاصي، والطريق إلى النار محفوفٌ بالشهوات، فإذا ابتعد الإنسانُ عن تلك الشهوات ظفر بالسلامة، وإذا أقدم على الشهوات فإنَّ ذلك قد يوقعه في الأمور المحرمة، وتكون لذة عاجلة ولكن يعقبها حسرة وندامةٌ وخزيٌ وعارٌ في الدنيا والآخرة، وقد جاء في الحديث المتفق على صحته عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنَّ الرسول ﷺ قال: « يا معشرَ الشباب مَن استطاع منكم الباءةَ فليتزوَّج، فإنَّه أحصنُ للفرج، وأغضُّ للبصر، ومن لَم يستطع فعليه

بالصومِ، فإنَّه لـه وِجَـاء »، فقـد بيَّـن عليـه الصلاة والسلام أنَّ الإنسان إذا كان قادراً على الـزواج، فعليـه أن يبـادرَ إليـه ليُعـفَّ نفسه، وليعفَّ غيـره، وإذا كـان غيـرَ قـادر فـإنَّه يتعـاطى هـذا العلاج النبـوي الـذي أرشد إليه الرسول الكريـم صـلوات اللـه وسلامه وبركاته عليـه وهـو الصـيام؛ لأنَّـه حميـةٌ ووقايـةٌ مـن أن يقـعَ الإنسـانُ فـي المعاصي، وذلك لمـا يحصـل فـي الصـوم مـن إضـعاف النفـس وعـدم تمكنهـا مـن الأمور التي كانت تتمكَّـن منهـا فـي حـال التنعم في المآكل والمشارب.

والحاصل أنّ هذا توجيهٌ نبويٌّ كريم من الرسول الكريم عليه أفضل الصـلاة وأتـمّ التسليم للشباب أن يقدموا علـى الـزواج

إذا تمكنوا من ذلك وقدروا عليـه، وإذا لـم يستطيعوا فإنَّهم يكبحون جمـاح نفوسـهم بالصيام.

وفـي صـيام الأغنيـاء إحساسـهم بـألم الجوع، فيتذكرون نعمةَ الله عليهم بالغنى فيشكرون الله عـز وجـل ويشـعرون بـأن لهم إخواناً يتألَّمون من الجـوع من غيـر صـيام؛ لأنَّهـم لا يجـدون مـا يسُـدُّ رَمَقَهـم فيكون ذلك حافزاً لهم على الإحسان إلى المساكين والبذل للمُعوزين والمحتاجين.

وأمّا الحجُّ فإنَّه عبادة عظيمة، افترضها الله عزَّ وجلَّ على عباده في العمـر مـرة واحدة، وهـي تشـتمل علـى أمـور تتعلَّـق بالمـال، وأمـور تتعلَّـق بالبـدن، ولهـا آثـارٌ طيبة، ونتائج حميـدة فـي حيـاة الإنسـان،

وقد جاء عن النَبِـيِّ الكريـم عليـه الصـلاة والسلام: « العمرةُ إلى العمرة كفارةٌ لِمَا بينهما، والحجُّ المـبرورُ ليـس لـه جـزاء إلاَّ الجنّة » رواه البخاري (1773)، ومسلم (1349) عــن أبــي هريــرة ﷺ، وسـُئل رسولُ الله ﷺ عن أفضل الأعمال فقـال: « الإيمانُ بالله ورسوله، قيـل: ثـمَّ مـاذا ؟ قال: الجهادُ في سبيل الله، قيل: ثمّ ماذا ؟ قال: حَجٌّ مـبرور » رواه البخـاري (26)، ومسلم (83) عن أبي هريـرة ﷺ، وقـال رسول الله ﷺ: « مَن حَجّ لله فلـم يرفـث ولَم يفسق رجع كيـوم ولَـدته أمُّـه » رواه البخاري (1521)، ومسلم (1350) عـن أبي هريرة ﷺ، والحجُّ المبرورُ هـو الـذي يـأتي بـه الإنسـان مطابقـاً لسـنة النَبِـيِّ

الكريم عليه الصلاة والسلام، وعلامتُـه أن يكون بعد الحـجّ أحسـنَ منـه قبـل الحـجّ، فإذا تحوَّلت حالُ الإنسـان بعـد الحـجّ مـن حال سيِّئةٍ إلى حـال حسـنة، أو مـن حـال حسـنة إلـى حـال أحسـن فهـي العلامـةُ الواضحةُ لكون حجِّه مبروراً.

ثـمّ أيضـاً يـترتب علـى أداء الحـجّ والعمرة أنَّـه يتقـرَّب إلـى اللـه عـز وجـل بعبادات لا وجود لها إلاَّ في ذلـك المكـان، مثل الطواف، فإنَّ الطوافَ عبـادةٌ جعلهـا الله من خصائص بيته العتيق، فـإذا وصـل إلى مكـة طـاف بـالبيت العـتيق، وتقـرَّب إلى الله عز وجل بعبادة لو لم يصـل إلـى مكة لما تقرّب إليه بها؛ لأنَّه لا وجود لها إلاَّ حول الكعبـة المشـرّفة، ويسـتذكر بـذلك

ويستشعر أنّ أيَّ طواف يكون في أي مكان من الأرض ليس مِمَّا شرعه الله عز وجل، فلا يجوز لأحد أن يطوفَ بضريح من الأضرحة، أو بأيِّ بقعة من الأرض سوى الكعبة المشرّفة. ومن ذلك تقبيل واستلام الحجر الأسود، واستلام الركن اليماني، فإنَّ الله عز وجل لَم يشرع للمسلمين أن يتقربوا إليه بتقبيل حجارة أو استلامها إلاَّ في هذين الموضعين، ولهذا لَمَّا جاء عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه إلى الحجر الأسود وقبَّله قال: « إنِّي أعلم أنّك حجرٌ لا تَضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُك ما قَبَّلْتُك» رواه البخاري (1597)، ومسلم (1270).

ومــن الآثــار المترتبــة علــى الحــجّ والعمـرة أنَّ المُحـرِمَ عنـدما يَتَجَـرَّد مـن ثيــابه ويلبــس إزاراً ورداءً يســتوي فيــه الغنِيُّ والفقير، يتذكر بهذا اللبـاس لبـاسَ الأكفان عند الموت، فيستعد له بالأعمـال الصــالحة الــتي هــي خيــر زاد كمــا قــال تعالى: □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □ □ □ □□□□□□□□□□□.

ومن ذلك أيضاً أنّ في اجتماع الحجّـاج فــي عرفــة تــذكيراً باجتمــاع النــاس فــي الموقف يوم القيامة فيكـون ذلـك حـافزاً للاستعداد لذلك اليوم بالأعمال الصالحة.

وفــي الحــجّ يلتقــي المســلمون مــن مشــارق الأرض ومغاربهــا، فيتعــارفون، ويتناصحون، ويعرف بعضُهم أحوالَ بعض،

فيتشاركون في الأفراح والمسرَّات، كما يشارك بعضهم بعضاً في آلامه، ويرشده إلى ما ينبغي له فعله، ويتعاونون جميعاً على البر والتقوى كما أمرهم الله سبحانه بذلك.

والحاصل أنّ هذه العبادات العظيمة التي شرعها الله عز وجل، وبنَى عليها دينَه الحنيف، تترتب عليها آثار طيبة في حياة المسلم الدنيوية، وآثار عظيمة في حياته الأخروية.

وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا جَميعاً لما يرضيه، وأن يجعلنا مِمَّن يستمع القولَ فيتبع أحسنه، وأن يجعلنا هداةً مهتدين، إنَّه سبحانه جوادٌ كريم، وصلَّى

الله وسلم وبارك وأنعم على خيـر أنبيـائه ورسله نبيِّنا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد اللـه، وعلـى آلـه وأصـحابه، ومَـن سـلك سـبيلَه واهتـدى بهـداه، والحمـد للـه ربّ العـالمين، والسـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركاته.

* * *
*